مجلة كلية

الدعوة الإسلامية

مجلة إسلامية - ثقافية - جامعة

العدد السابع
1990 م

- واقع البحث العلمي ومشكلاته
- قصة دخول الإسلام إلى رواندا
- صورة المسيحية في دراسات غربية
- مفاهيم أساسية في فكر مالك بن نبي
- التراث الإسلامي والاستشراق

الأسرة العربية الليبية وتربية الطفل

الدكتور: إبراهيم أبو فروة
جامعة الفاتح - الجماهيرية العظمى

المقدمة:

ينظر الإسلام إلى الأسرة على أنها نواة المجتمع، والبيئة الاجتماعية الأولى التي ينشأ فيها الفرد البشري فتؤثر فيه سلباً وإيجاباً. فالإنسان يولد على الفطرة التي أرادها الله لعباده. قال تعالى: ﴿**فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون**﴾ الروم: 30، وقال أيضاً: ﴿**إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعاً بصيراً، إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً**﴾ الإنسان: 3,2 وأول مؤثر يؤثر في الوليد البشري هو الأسرة سواء كانت أسرة طبيعية أم أسرة بديلة. جاء في الحديث الشريف (كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه).

ولأهمية الأسرة في إعداد النشء أولى الإسلام العناية بها بدءاً من تأسيسها، فأوصى بحسن اختيار شريك الحياة. قال ﷺ: (تنكح المرأة لثلاث، لمالها وجمالها ودينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك). وقال ﷺ: (إذا جاءكم من

ترضون دينه وخلقه فزوجوه الا تفعلوا تكن فتنة).

كل هذا وغيره يشير إلى حرص الإسلام على بناء الأسرة الصالحة بحيث تكون بيئة اجتماعية أولى توفر لافرادها الصغار الرعاية والتنمية الشاملة لجميع مناحي شخصياتهم، وتعمل مع بقية مؤسسات المجتمع الأخرى على اعداد أفراد صالحين لأنفسهم ولوالديهم وأقاربهم وأبناء مجتمعهم، عاملين لخيري دينهم ودنياهم في إطار مبادىء وتعاليم وتشريعات دينهم الإسلامي الحنيف. فإذا ما توفرت مثل هذه البيئة نتج عنها أفراد مقرُّون بحقوق الوالدين، بارُّون بهم، مطيعون لهم، ومحسنون إليهم أحياء كانوا أم أمواتاً. قال تعالى: ﴿**وقل: رب ارحمهما كما ربياني صغيرا**﴾ الاسراء: وقال رسول الله ﷺ: (ينقطع عمل ابن آدم إلا من ثلاث: صدقة جارية، وعلم ينتفع به، وولد صالح يدعو له).

وتنقسم هذه الدراسة إلى جزئين. الجزء الأول يعالج أهمية كل من الأسرة والطفولة وظاهرة الاهتمام بها عالمياً، وقومياً ومحلياً.

ولم يركز في اهتمامه هذا على الجهود المبذولة من قبل المؤسسات والمنظمات والهيئات العالمية والقومية، والمحلية لرعاية الطفولة، بل ركز على الإعلان عن حقوق الطفل في ثلاث وثائق. ثم تناولت الدراسة بعض جوانب شخصية الطفل وتأثير الأسرة على نموها سلباً وإيجاباً. وهذه النواحي هي: الناحية البدنية، والناحية العقلية، والناحية النفسية، والناحية الاجتماعية، والناحية الروحية، والخلقية. ولقد تم خلال هذه المعالجة التأكيد على أنه لا ينبغي الإقلال من أثر أي أسلوب معاملة للطفل من قبل الأسرة في شخصية الطفل.

أما الجزء الثاني فقد تناول تربية الأسرة العربية الليبية للطفل، وحصرت اهتمامها في تحديد أهم المصادر التي تستقي منها الأسرة العربية الليبية ثقافتها الخاصة بتربية الطفل ومعالجة هذه النقطة تمت في ضوء ما توفر للباحث من معلومات وبيانات ونتائج دراسات ميدانية ومكتبية عن المجتمع العربي الليبي إلى جانب ملاحظاته الشخصية وكتوطئة للمعالجة قدم الباحث بعض ملامح وخصائص الأسرة العربية الليبية ثم قام بتصنيفها معتمداً في ذلك المستوى

التعليمي العام للأسرة وبالتحديد للزوج والزوجة، بموجب هذا التصنيف وما توافر للباحث من معلومات وبيانات ثم تحديد أهم المصادر التي تكتسب منها الأسرة الليبية ثقافتها الخاصة بتربية الطفل.

ويبدو من الأنسب والمفيد أن نبدأ أولاً بتعريف القارىء ما نقصده ببعض المصطلحات والمفاهيم الواردة في هذه الدراسة، وبالتحديد، الأسرة، التربية، الطفل.

فالمقصود هنا بالأسرة: تلك الخلية الاجتماعية التي تضم الأب والأم والأطفال والأقرباء وأوضاع هذه الأسرة الثقافي بجانبه المادي والمعنوي.

أما التربية فيقصد بها عملية تنمية جميع جوانب شخصية الطفل البدنية، والعقلية، والنفسية، والاجتماعية، والروحية وغير ذلك إلى أقصى درجة ممكنة من النمو ووفقاً لقدراته واستعداداته وميوله، وفي إطار ثقافة المجتمع.

وفيما يتعلق بتعريف الطفل فيقصد به الوليد البشري من لحظة ميلاده وحتى بلوغ سن الخامسة عشرة. وقد تم هذا التحديد في ضوء تعريف اللجنة الوطنية الدائمة لرعاية الطفولة بالجماهيرية والذي حدد الطفولة على النحو الآتي: (المرحلة التي يمر بها الإنسان منذ الولادة وتنتهي مع بداية مرحلة الشباب وقبل بلوغ سن الخامسة عشرة وهي المرحلة الأساسية في بناء الفرد المتأثر بعاملي الوراثة والبيئة والتي تتطلب رعاية وعناية خاصة لتحقيق نموه المتكامل واكسابه الشخصية السوية).

الإعلان عن حقوق الطفل:

إن الاهتمام بالطفولة ورعايتها يعد مظهراً حضارياً يميز المجتمعات المتقدمة عن سواها وتتعدد مجالات الاهتمام بالطفولة ويختلف مدى الاهتمام بها من حيث الدرجة والنوع من بلد إلى آخر. ومن بين أهم نواحي الاهتمام بالطفولة تلك الجهود المبذولة على الصعيدين الرسمي والأهلي في ميادين الصحة، والتعليم، والترويح والتنشئة الاجتماعية وغير ذلك. وهذا الاهتمام يمكن تصنيفه إلى اهتمام

مباشر موجه إلى الطفولة نفسها، وآخر غير مباشر موجه إلى بقية أفراد المجتمع وعلى وجه الخصوص إلى الآباء والأمهات ويتمثل في توفير حاجاتهم من مأكل ومشرب وملبس ومركوب وعلاج وتعليم وتوجيه وتوعية وتثقيف وإرشاد وترويح. كما أن إيجاد فرص عمل للراشدين وتحسين ظروف عملهم، والزيادة في دخولهم المعاشية له آثاره وانعكاساته الايجابية على الطفولة.

لقد أصبح موضوع الطفولة ورعايتها في عصرنا الحاضر موضع اهتمام علماء النفس والاجتماع والتربية والاقتصاد. ورغم أن اهتمام كل فريق ينصب في الغالب على جوانب محددة من شخصية الطفل أكثر من غيرها إلا أنها في مجملها تهتم بإعداد الشخصية السوية وفقاً لمواصفات ومعايير معينة من قبل المجتمع. ولتعدد الاهتمامات نجد تسميات مختلفة لعملية اعداد الشخصية السوية يطلقها أهل الاختصاص في مجالات العلوم المختلفة من ذلك: التربية والتنشئة الاجتماعية أو الصقل الاجتماعي، والتنمية البشرية، والتوعية.

وقد توج هذا الاهتمام بالإعلان العالمي لحقوق الطفل في سنة 1959م والمتضمن لمبادىء عشرة تعكس أبعاداً هامة في حياة الطفل إذ نادى هذا الإعلان بالمساواة بين الأطفال في الحقوق ودون أية تفرقة أو تمييز عنصري بسبب الدين أو اللغة أو الجنس أو الثروة أو النسب. ونادى الإعلان أيضاً بتمتع الطفل بحماية خاصة ومنحه فرصاً وتسهيلات تمكنه من النمو بدنياً وعقلياً وخلقياً وروحياً واجتماعياً وبصورة اعتيادية وفي ظروف تتسم بالحرية والكرامة، وأن توضع مصالح الأطفال في الاعتبار الأول عند تنفيذ القوانين الخاصة التي تحقق هذا الهدف. كما منح الإعلان الطفل الحق في التمتع باسم وجنسية بمجرد مولده. وقد نصت المادة الرابعة على حق الطفل في العيش بأمان وفي صحة جيدة، وأن تتهيأ له ولأمه الرعاية والحماية اللازمتين قبل الولادة وبعدها. وأبرزت المادة الخامسة حق الطفل المعاق في توفير الرعاية الضرورية وتقديم العلاج والتعليم المناسبين لحالته الخاصة. واعترافاً بأهمية وضرورة الرعاية الأسرية للطفل أكدت المادة السادسة من الإعلان على حاجة الطفل لبناء شخصيته بطريقة متكاملة إلى الحب والفهم، وحقه في النمو في ظل رعاية والديه تتسم بالحنان والأمان المادي

والمعنوي، وأن لا يفصل الطفل عن أمه إلا في حالات استثنائية، وأن يتكفل المجتمع والسلطات المسؤولة بتوفير الرعاية للأطفال الذين لا عائل لهم[1].

وقد أكدت الدول العربية أهمية الطفولة وضرورة الاهتمام بها، فأصدرت ميثاق حقوق الطفل العربي الذي أكد على أن تنمية الطفولة ورعايتها التزام ديني ووطني وقومي وإنساني، وأن التنشئة الاجتماعية للأطفال مسؤولية عامة، واعتبار الأسرة نواة المجتمع وأساسه، ويجب أن تحظى بالرعاية لتكون قادرة على منح أبنائها الرعاية، وعد الأسرة الطبيعية هي البيئة الأولى لتنشئة ورعاية الأطفال. وتضمن الميثاق أيضاً حقوق الطفل في الرعاية والتنشئة الأسرية القائمة على الاستقرار الأسري ومشاعر التعاطف والدفء والتقبل، وفي الأمن الاجتماعي، والعناية الصحية وقاية وعلاجاً له ولأمه من يوم حمله، وفي التعليم والخدمة الاجتماعية[2].

وفي الجماهيرية تضمنت الوثيقة الخضراء الكبرى لحقوق الإنسان في المجتمع الجماهيري الصادرة عام 1988 م مواد تؤكد حقوق الطفل والأسرة. إذ تنص على أن من حقوق الإنسان المقدسة أن ينشأ في أسرة متماسكة تتوفر فيها الأمومة والأبوة والأخوة، وأن الأمومة الطبيعية والرضاعة الطبيعية هما المناسبتان لطبيعة الإنسان وتليقان بكرامته، وأنه من العسف والجور حرمان الأبناء من أمهم وحرمان الأم من بنيها. والمجتمع يكفل للعجزة والمسنين والمرضى من أفراده حياة كريمة، ويوفر للطفولة الرعاية التي تحتاجها وأن أبناء المجتمع الجماهيري متساوون في كل ما هو إنساني[3].

وبنظرة فاحصة لكل مبادىء الإعلان العالمي لحقوق الطفل وميثاق حقوق

---

(1) عبد السلام بشير الدويبي، المدخل لرعاية الطفولة: دراسة نظرية عن أسس ومبادىء رعاية الطفولة (طرابلس: المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان)، 1985 م ص. ص 36-40.

(2) المصدر السابق، ص. ص 153 -155.

(3) د. عبد الخالق عبد الله، العالم المعاصر والصراعات الدولية، لسلسلة عالم المعرفة رقم 133، (الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1989 م) ص. ص 149 -158.

الطفل العربي وبعض مواد الوثيقة الخضراء الكبرى لحقوق الإنسان يتبين التأكيد على الآتي:

1 ـ إن رعاية الطفل وتنشئته مسؤولية تضامنية بين الأسرة والمجتمع.

2 ـ إن الأسرة نواة المجتمع وأساسه وهي البيئة الأولى لتنشئته ورعاية الطفل. ويجب أن تتوفر لها الرعاية الكافية.

3 ـ التأكيد على دور الأم في تنشئة الطفل، والعناية بها حاملاً فمرضعاً فمربية.

4 ـ إن للطفل الحق في العيش في كنف أسرة طبيعية، وفي الرعاية الأسرية، وفي الأمن الاجتماعي وفي العناية الصحية، وفي التعليم، وفي الخدمة الاجتماعية.

5 ـ أن تتوفر فرص النمو لجوانب شخصية الطفل وبصورة طبيعية.

6 ـ المساواة بين الأطفال في الحقوق ذكوراً كانوا أم إناثاً، عاديين أم معاقين.

ويجدر في نهاية هذا الجزء من البحث الإشارة إلى نقطتين هامتين وهما:

أولاً: إن جميع حقوق الطفل التي أعلنت عنها الوثائق الآنفة الذكر هي أصلية في الشريعة الإسلامية التي جاءت للبشرية منذ أربعة عشر قرناً، فالطفل موضع اهتمام الإسلام من مرحلة اختيار أمه وأبيه لشريك الحياة وحتّى مرحلة تزويجه. (وهذا موضع بحث قادم بعون الله).

ثانياً: إن الإعلان عن حقوق الطفل لا يعني الشيء الكثير ما لم يعقبه جهد يجسد مضمون هذه الحقوق بصورة فعلية جادة. وتعوزنا الأبحاث والدراسات لمعرفة المدى الذي تحققت به هذه الحقوق للأطفال والأسر على المستوى العالمي والقومي والمحلي. إن الاحصائيات المتوفرة عن بؤس الطفولة في العالم مرعبة ومخيفة وخاصة عندما يجد القارىء أنها في تنامٍ ففي ما مجموعه (130) دولة فقيرة ونامية تضم معظم قارة آسيا وقارة أمريكا اللاتينية، وكافة القارة

الافريقية يوجد «300» مليون طفل محروم من التعليم، وحكم عليه بالبقاء في الجهل والأمية مدى الحياة «ويموت نتيجة التلوث الشديد للمياه في هذه الدول خمسة وعشرين مليون طفل سنوياً. ويضطر في 30 دولة من هذه الدول (مائة مليون طفل دون سن الخامسة عشرة القيام بأعمال مرهقة لقاء دريهمات تافهة، وفي ظل ظروف سيئة رغم وجود قرار دولي بتحريم استخدام العمال من صغار السن والأطفال). وفي أفريقيا وحدها يموت 27% من الأطفال قبل بلوغهم عاماً واحداً من العمر بسبب الجوع ونقص التغذية. (إن الأطفال والنساء هم أكثر الفئات الاجتماعية تضرراً ومعاناة من واقع الفقر والجهل والمرض السائد في (هذه الدول)... وأن 60% من نساء هذه الدول يعانين من سوء التغذية ونقص الحديد وخصوصاً الحوامل منهن)[3].

الأسرة وتربية الطفل:

إن الأسرة هي أصغر وحدة اجتماعية، وهي المكون الأساسي للمجتمع، وقد كانت الأسرة قديماً تقوم بتقديم جميع الخدمات لأفرادها الصغار ثم بدأت وظائفها في التقلص بصورة تدريجية، حيث أوكلت وأشركت. فئات متعددة من المجتمع في القيام بأعباء الخدمات الزراعية والصناعية والتجارية والعلاجية والأمنية والقضائية والتعليمية والترويحية، ومع كل ما تقدمه وستقدمه فئات المجتمع المختلفة للأفراد من خدمات، يبقى للأسرة ثقلها في الميزان. بل ان بعض علماء التربية وعلماء النفس يعتقدون أن تأثير الأسرة على تربية الطفل تفوق آثارها بقية المؤسسات المجتمعية الأخرى. بل ان نجاح المؤسسات الأخرى إنما يتوقف على الأسرة[5]. فالأسرة هي البيئة الاجتماعية الأولى التي تتعهد بتربية الطفل، وفيها يقضي طفولته المبكرة (من الولادة حتى سن السادسة) والتي يعدها علماء النفس من أهم مراحل حياة الإنسان لكونها الأساس الذي يعتمد عليه نمو الطفل في مراحل حياته التالية. إذ تشير بعض الدراسات التربوية والنفسية أن

---

(4) نجوى طارق جاد الله، المؤسسات التربوية في التربية المعاصرة: طبيعتها وأبعادها الأساسية، تحرير د. محمود عبد الرزاق شفشق وآخرون (الكويت: دار القلم، 1989 م) ص 78.

50٪ من المكتسبات الذهنية المتوفرة للفرد في سن السابعة عشرة من العمر تحصل في السنوات الأربع الأولى وأن 30٪ منها تظهر فيما بين الرابعة والثامنة وأن 20٪ الباقية تكتمل فيما بين الثامنة والسابعة عشرة[5]. وتذكر دراسة أخرى أن ثلث الحصيلة التربوية للطالب في سن الثامنة عشرة تتحقق في السنوات الست الأولى من حياته، وأن 42٪ من تلك الحصيلة تحقق في سن الثالثة عشرة[6].

وتستمد الأسرة أهميتها بتأثيرها على مظاهر نمو الطفل التالية سلباً وإيجاباً:

1 ـ الناحية البدنية:

تعد مرحلة الطفولة عند بني الإنسان، والمبكرة منها على وجه الخصوص من المراحل التي تتميز بالعجز وعدم القدرة على تلبية الاحتياجات وحماية النفس من الأخطار. لهذا يعتمد نمو الطفل وخصوصاً في مراحله الأولى اعتماداً كلياً على مدى ما توفره له الأسرة من ضروريات الحياة من مأكل ومشرب وغطاء وكساء ومسكن، وعلى مدى عناية الأسرة به صحياً وقاية وعلاجاً. فالنمو البدني يتأثر بظروف الأسرة والبيت. (وقد دلت الإحصاءات على أن نسبة الأطفال الذين يمرضون في مرحلة الطفولة المبكرة أكبر في الأسرة الجاهلة والفقيرة منها في الأسر المتعلمة والغنية. وكثير من العاهات والأمراض تنتج عن إهمال الوالدين للأطفال في سنواتهم الأولى بصفة خاصة كالعمى والصم، والأمراض الصدرية[7].

إن انتشار العدوى والأوبئة بين الأطفال الصغار يرتبط بسوء تغذية الأطفال والأمهات الحوامل والمرضعات. وفي هذا الخصوص جاء في تقرير الاتحاد العالمي للعلوم الغذائية أن سوء تغذية الأمهات الحوامل يسبب بصورة مباشرة أو غير

---

(5) عبد السلام بشير، المدخل لرعاية الطفولة: دراسة نظرية عن أسس ومبادىء رعاية الطفولة، مصدر سابق ص 49.

(6) د. محمود عبد الرزاق شفشق، (التربية والتغير الاجتماعي)، في التربية المعاصرة: طبيعتها وأبعادها الأساسية، مصدر سابق ص 64.

(7) نجوى طارق عبد الله، (المؤسسات التربوية)، في التربية المعاصرة: طبيعتها وأبعادها الأساسية، مصدر سابق، ص 79.

مباشرة في إنجاب أكثر من 20 مليون طفل ناقص النمو سنوياً[8].

فالغذاء إلى جانب أنه أحد الحاجات الأساسية للنمو البدني يمثل أهمية نفسية واجتماعية في علاقة الطفل بوالديه عموماً ووالدته على الخصوص لارتباطهما بإشباع حاجته للغذاء خلال مرحلة الرضاعة وفي تعلم الطفل عدداً من مظاهر السلوك المرتبطة بإشباع حاجة الإنسان إلى الطعام وذلك في إطار ثقافة المجتمع[9].

إن لمستوى حضارة المجتمع والأسرة أثرها المباشر على علاقة الطفل بأمه ودرجة بلورتها في نفسيته سواء من ذلك أشكال تقديم الغذاء (تقديم وجبة غذائية كل أربع ساعات أو تقديمها إذا دعت الحاجة إلى ذلك وطلبها الطفل) أو التمرين على النظافة (مراعاة النظافة والإفراز في مواعيد، أو تركها بصورة عفوية) والظروف الإفرازية أو ما يرافقها من مضمون تأديبي أو المكانة الاجتماعية للأم[10]. بل هناك من يذهب أبعد من ذلك فيؤكد أن الأسلوب المتبع في إشباع حاجة الطفل من الغذاء له أثره في شخصيته، فينشأ الطفل متلهفاً ملحاحاً في حالة حصوله على الغذاء بعد الحاح وجهد، ومتواكلاً خاملاً في حالة تزويده بالغذاء بمنتهى السهولة واليسر ودون طلب منه، (وإن نوع العلاقة التي تربط الطفل بأمه هي نموذج للعلاقات التي سيقيمها فيما بعد مع الآخرين)[11]. كما أن إجراء الفطام متأخراً جداً بما يفوق السنتين بكثير، يؤدي إلى تواكل في الشخصية، أما إجراء الفطام مبكراً جداً فيؤدي إلى تكوين شخصية شديدة الحرص والاحتراز[12].

---

(8) عبد السلام بشير الدويبي، المدخل لرعاية الطفولة: دراسة نظرية عن أسس ومبادىء رعاية الطفولة، مصدر سابق، ص 85.

(9) المصدر السابق، ص 61.

(10) مبارك ربيع، عواطف الطفل (طرابلس - تونس: الدار العربية للكتاب) 1989 ص 40.

(11) المصدر السابق، ص 33، 34.

(12) المصدر السابق ص 35.

2 ـ الناحية العقلية:

إن النظرة السائدة فيما يزيد عن خمس وعشرين سنة مضت، أن الوليد ما هو إلا جسم يرد الفعل، وأن تصرفاته الأولى فوضوية وعشوائية، إلا أن نتائج الأبحاث حول قدرات الطفل غيرت هذه النظرة كلية، إذ أصبح المعروف حالياً (أن شبكة واسعة من القدرات المعرفية واللسانية والإدراكية، بل الاجتماعية بالقوة تظهر في وقت مبكر جداً، وتبعاً لذلك لا نبعد إن قلنا ان الرضيع جاهز للمشاركة في العلاقات الاجتماعية، وفي استخدام مؤهلاته وتوسيعها، وتحكمه فيما يحيط به)[13].

فالطفل يبدأ تدريجياً في تعلم اللغة والتعبير وطريقة الكلام المستخدمة في أسرته. وتعد اللغة أهم أداة يكتسبها الطفل، إذ تساعده على الحياة في الأسرة والمجتمع، فيعبر بها عن احتياجاته، ومشاعره وعواطفه، ويستخدمها في نقل أفكاره للآخرين، كما أن تعلم الطفل اللغة يمكنه من استقبال آراء الراشدين وأفكارهم. وبمجرد تعلم اللغة يبدأ الطفل في طرح تساؤلاته، ويطلب بإلحاح إجابة لها، من والديه وبقية أفراد أسرته، ويستمع باهتمام شديد للقصص والحكايات التي قد تؤثر في تفكيره وخياله. ومشاهدة الطفل للعديد من صور الأشياء والحيوانات، واستماعه إلى الألفاظ المتبادلة بين أفراد أسرته يسهم في تنمية رصيده اللغوي. وإلى جانب تعلم الطفل اللغة، يكتسب عادات أسرته في الحديث.

وللأسرة دور كبير في تنمية حب المعرفة والإطلاع لدى الطفل، وإثراء خياله الذهني وتنميته وتنشيطه، وكذلك تنمية قدرة الطفل على الكلام والتعامل اللفظي والتعبير اللغوي، وتنمية قدرة ومهارة الأطفال على نقل إحساساتهم ومشاعرهم وآرائهم.

---

(13) ادريان آي ماريس (آخر ما اكتشفه البحث الأمريكي الشمالي حول تنشئة الطفل اجتماعياً، في أنماط تنشئة الطفل اجتماعياً، تعريب صالح البكاري، سلسلة العلوم الاجتماعية، رقم 1، (طرابلس - تونس: الدار العربية للكتاب، 1984 م ص 88.

فالأسرة التي تنظر إلى ظاهرة استرسال طفلها في الأسئلة، وخصوصاً في وسط أو نهاية السنة الثانية إلى الخامسة من العمر، أنها أمر طبيعي، وأن تساؤلات طفلها قد يكون مبعثه حب الاستطلاع، أو خوفه من أشياء ليس لديه سابق خبرة مباشرة بها، أو حبه للاختلاط الاجتماعي، أو رغبته الطبيعية في الحصول على انتباه الآخرين إليه، والاهتمام به، وغير ذلك، وتجيب طفلها على تساؤلاته بما يتفق مع المبادىء التربوية، تساعد الطفل على النمو نفسياً نمواً سوياً، وتساعده أيضاً على التكيف الاجتماعي: أما النظر إلى أسئلة الطفل بغرابة، واستقبالها بتململ، والتهرب من الرد عليها، أو الإجابة عنها إجابة مبهمة أو بعيدة كل البعد عن الحقيقة أو نهره أو معاقبته عن طرح بعض الأسئلة، يخيب آمال الطفل ويضايقه، وقد يفقد الثقة في أبويه ويلجأ في الحصول على إجابة لتساؤلاته من الغير الذين قد يزودونه بمعلومات تضره نفسياً وثقافياً. وقد يؤدي الموقف السلبي من أسئلة الطفل المحرجة إلى شعوره بالذنب، ويتعرض للقلق النفسي والخجل والانزواء والبعد عن الحياة الاجتماعية في الأسرة[14]. (لقد دلت البحوث والتجارب العلمية مع الأطفال أن التهرب من الرد على أسئلتهم وتعمد تأجيل الإجابة على بعض الأسئلة الحساسة التي يسألونها، يتركهم عادة يعانون في وحدة من مشاكل لا يفهمون لها حلاً، الأمر الذي قد يسبب لهم حيرة ومشاكل جمة[15]. فالتصرف السليم إزاء تساؤلات الأطفال هو تقديم إجابات صحيحة لتساؤلاتهم، وبما يتناسب ومداركهم وأعمارهم. ويجب (أن يدرك الآباء والمربون أن الأخذ والعطاء مع الطفل في الإجابة على أسئلته له فوائد كثيرة أهمها تنمية شخصية الطفل وتنمية مقدراته اللغوية وتمرينه على استعمال الكلمات والتعابير الجديدة، كما أنه يكتسب من هذا الأخذ والعطاء أيضاً خبرات وتجارب في استخدام الأفكار والآراء المجردة، التي لا يمكنه أن يصل إلى استخدامها بمفرده إلا بعد خبرات طويلة في سنين قادمة. هذا كما أن الطفل يتعلم عن طريق الأخذ والعطاء في الإجابة على أسئلته، القدرة على الإصغاء والاستماع إلى الأجوبة

(14) د. ملاك جرجس، مشاكل الصحة النفسية للأطفال (طرابلس ـ تونس: الدار العربية للكتاب، 1985) ص. ص 151 -155.

(15) المصدر السابق، ص 155.

المطولة، كما أنه يستمتع بمشاركة والديه له وجدانياً الأمر الذي يجعل قيادتهما له سهلة، ويجعله أكثر تقبلاً لما يقال له، ولفهم ذاته[16].

3 ـ الناحية النفسية:

يحتاج الطفل إلى إشباع عدد من الحاجات النفسية وإن اختلف الباحثون في تحديد هذه الحاجات إلا أنه يمكن اعتبار الحاجة كل إحساس لدى الفرد بافتقاد أمر مفيد ومرغوب فيه وأساسي بدرجة تسبب اختلالاً في توازنه. ويتميز هذا الاختلال بالتوتر ويستتبع نشاطاً من قبل الفرد لتخفيف ذلك التوتر وتحقيق درجة من التوازن[17].

ويواجه الطفل صعوبة في إدراك حاجاته النفسية وفي معرفة كيفية إشباعها خاصة في فترة الطفولة المبكرة، فيحتاج إلى تدخل ومساعدة الأسرة لتأمين تلك الحاجات. وإشباع هذه الحاجات يشعره بالسعادة، ويهيء له أسباب النجاح في حياته، أما عدم إشباعها فيسبب له الشقاء ويعوقه عن التكيف في الحياة. ومن الحاجات النفسية الحاجة إلى الحب والاستجابة العاطفية، والحاجة إلى الأمن، والحاجة إلى الانتماء إلى جماعة، والحاجة إلى الرضا عن النفس والثقة بها، والحاجة إلى تحقيق استقلال نفسي واقتصادي، والحاجة إلى الحرية والمغامرة، والحاجة إلى النجاح وتقدير الآخرين[18].

ويقرر العديد من المختصين في مجال الطفولة أن الحب والعطف والتقدير والشعور بالأمان هي من أهم حاجات الطفل، ويعدون الإشباع النفسي لهذه الحاجات من أهم واجبات الأسرة الطبيعية. ففي هذا الصدد يقول أليس وايزمان: (فالمنبع الأول لشعور الطفل بثقته بالعالم المحيط به، هو حب والديه

---

(16) المصدر السابق، ص 155.

(17) د. فاخر عاقل، علم النفس التربوي، ط 3 (بيروت دار العلم للملايين، 1978م) ص 391، 392.

(18) د. عمر محمد التومي الشيباني، الأسس النفسية والتربوية لرعاية الشباب؟ بيروت/ دار الثقافة، (دون تاريخ) ص 132.

وحمايتهما له، فحاجة الأطفال للحب، كحاجتهم للغذاء والشمس. انهم في حاجة إلى الطمأنينة الانفعالية، وإلى الشعور بالتبعية. ذلك بأن هذه النواحي تؤلف فيما بينها الدعامة الأولى لبناء صرح النضج... ولطالما أصبح الطفل غير المرغوب خائفاً، جباناً، متردداً. أو أمسى جريئاً جرأة تخفي وراءها شعوراً عميقاً بانعدام الحب، ليدافع عن نفسه. أما الجو العائلي المترع بالحب، فإنه يساعد الطفل على أن يتعلم درسه الأول في التعاون، والأخذ والعطاء، وإدراك ما في الآخرين من خير. وهكذا تسير به هذه الأمور جميعاً نحو النضج)[19].

وتحقق الأسرة نجاحاً في إشباع حاجات طفلها إذا اتخذت الأساليب التالية منهجاً في معاملة طفلها:

1 ـ تأمين الطمأنينة والحماية مع الحرية والمغامرة:

فالطفل بحاجة إلى الاستعانة، بل وأحياناً الاعتماد الكامل على والديه في مواجهة الخطر والألم والبرد والجوع، وهو محتاج كذلك إلى الانتماء إليهم، إلا أنه في ذات الوقت يميل إلى الاعتماد على نفسه وتحمل المسؤولية ومواجهة مشاكله بمفرده، فنراه يسعى إلى اكتشاف محيطه والتعرف على أسرار الأشياء وغوامضها، ويطرح أسئلة عديدة على والديه بغية الحصول على إجابة عنها. فعلى الوالدين توفير ما يشبع رغبات الطفل الاستطلاعية والاستكشافية من أدوات وألعاب تتناسب وعمره، وتقديم إجابات لأسئلته بما يتفق وسنه. فنجاح الوالدين متوقف على قدرتهم في توفير الطمأنينة والحماية للطفل ليعيش ويستقر وفي نفس الوقت التدرج في منحه الحرية مع إفساح المجال للمغامرة حتى يشب وينتقل تدريجياً من حياة اتكالية إلى حياة استقلالية[20]. فالطفل يحتاج إلى قدر من المساعدة والتشجيع لتنمية اعتماده على نفسه، كما أنه محتاج لأن تتاح له الفرص التي

---

(19) أليس ويتزمان، التربية الاجتماعية للأطفال، سلسلة دراسات سيكولوجية، رقم 9، ترجمة د. فؤاد البهي السيد، ط 3 (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، 1965) ص 45.

(20) نجوى طارق جاد الله (المؤسسات التربوية) في التربية المعاصرة: طبيعتها وأبعادها الأساسية، مصدر سابق، ص 81.

تساعده على النمو وذلك بسماح الراشدين له بتقديم المساعدة لهم، وتركه يقوم بشؤونه بنفسه، ويتخذ قرارات بمفرده، ويتصرف في نقوده، والتسامح معه في الوقوع في بعض الأخطاء. وبعبارة أخرى هو في حاجة إلى منحه فرص تدريب تتسم بالاعتدال ذلك أنه إذا (لم يحصل الفرد على قسط وافر خصب من التدريب الصحيح وضبط النفس فإنه يصبح في شبابه طفلاً في سلوكه لا يشعر بالمسؤولية، ولا يكاد يطيق تحملها، وقد يدفع التدريب القاسي الشديد، أو الأوامر والنواهي الكثيرة المتعددة بالأطفال لأن يصبحوا في شبابهم قلقين خائفين)[21].

2 ـ إشباع حاجة الطفل إلى التقدير:

إن الطفل بطبعه ميال للحركة والنشاط، لذا نراه يحاول القيام بأعمال كثيرة من ذلك مساعدة والده ووالدته وأخوته في بعض شؤونهم. والطفل في حاجة إلى نيل إعجاب وتقدير الآخرين لهذا نراه يلجأ إلى تقديم بعض الخدمات، والقيام ببعض الأعمال ودون طلب منه، جذباً لانتباه الراشدين، وتوقعاً منه لنيل استحسانهم. واتراف أفراد الأسرة بما يقوم به الطفل من أعمال يستحق عليها الثناء، وبما يتحلى به من صفات حميدة (يكسبه الثقة في نفسه، والنضج في شخصيته، والانفتاح على مجتمعه، كما يمنحه سعادة نفسية كبيرة)[22]. وتقدير الطفل سواء بكلمة طيبة أو هدية رمزية أو مادية، يترك آثاراً عميقة، إذ يجدد فيه الدافع للمبادرة والقيام بالأعمال المختلفة في المستقبل، ويدفعه إلى المزيد من النجاح في حياته إلى جانب إدخال السرور إلى نفسه. أما تجاهل أعمال الطفل من قبل الوالدين قد يدفع الطفل إلى العناد والعصيان والمشاكسة، ليلفت الأنظار إليه، ويفرض احترامه وتقدير أعماله على الآخرين. ولجوء الوالدين إلى القسوة في معاملة الطفل، وتصيد أخطائه، والإساءة إليه يدفعه إلى كراهية المحيطين به وقد تظهر هذه الكراهية في شكل سلوك عدواني، أو انطواء وانعزال[23].

---

(21) أليس ويتزمان، التربية الاجتماعية للأطفال، مصدر سابق، ص 52.

(22) نجوى طارق جاد الله، (المؤسسات التربوية)، في التربية المعاصرة: طبيعتها وأبعادها الأساسية، مصدر سابق، ص 82.

(23) المصدر السابق، ص 82.

ويوصى الآباء اتباع أسلوب التوجيه والإرشاد في حالة ارتكاب الطفل لخطأ ما، وأن يكون تقديم النصح والإرشاد على انفراد تجنباً لإحراج الطفل أمام الغير، وصوناً لكرامته واعتزازه بنفسه[24].

3 ـ الثبات والعدل في المعاملة:

من مقومات التنشئة الصالحة للطفل اتفاق الوالدين على أسلوب ثابت في معاملة الطفل فلا يكون أحدهما قاسياً ومتشدداً على الطفل، والآخر عطوفاً ومتسامحاً معه، تجنباً لحدوث صراع في نفس الطفل من جراء التناقض في المعاملة الذي يؤدي بالطفل إلى الاضطراب وعدم الثقة بالنفس والانحراف. ويتضمن الثبات في المعاملة أيضاً الوضوح وعدم التردد بحيث لا يلوم الوالدان الطفل على مسلك معين تارة، ويغضون الطرف عنه تارة أخرى، ما يجعل الطفل في حيرة وغير قادر على إصدار أحكام بالحسن أو القبح على أشياء وأفعال وقيم. وعلى الوالدين أيضاً مراعاة العدل والمساواة في معاملة أطفالهم، فلا يخصوا أحدهم دون الآخرين بالعطف والحب والرعاية، بل يوزعوا اهتماماتهم على سائر الأبناء ودون تفرقة بين صغير أو كبير، أو ذكر وأنثى. فالاهتمام بأحد الأبناء دون الآخرين يؤدي إلى خلق مشاعر الغيرة والحقد والكراهية الشديدة التي قد تتحول إلى عداء بين الأخوة[25] وفي قصة سيدنا يوسف عليه السلام وإخوانه خير مثال للغيرة وتحولها إلى كيد. ولكل من التفرقة في المعاملة بين الأبناء واستخدام أسلوب القسوة معهم آثار ومضاعفات أخرى منها: عصبية الطفل وقلقه النفسي. يذكر د. جرجس أن بعض العلماء يرى أن أهم أسباب عصبية الأطفال وقلقهم النفسي ترجع إلى الشعور بالعجز، والشعور بالعداوة، والشعور بالعزلة كنتيجة لحرمانهم من الدفء العاطفي في الأسرة وعدم إشباع الحاجة إلى الشعور بالحب والقبول وإلى سيطرة الآباء التسلطية وعدم اشعار الطفل بالتقدير. ومن أمثلة ذلك قسوة الآباء وتفرقتهم بين الأخوة، وبين الولد والبنت، كما ترجع عصبية

---

(24) المصدر السابق، ص 82.

(25) المصدر السابق، ص 83.

الأطفال إلى تعقيدات البيئة وتناقضاتها بما فيها من غش وخداع كعدم وفاء الآباء بوعودهم للأطفال وحرمانهم من الحاجات الضرورية)[26] ويذكر د. جرجس أيضاً أن الدراسات العلمية أثبتت أن عدداً من حالات الغضب والعناد وكثرة التشاجر عند الأطفال مردها في الغالب سلوك الآباء أنفسهم المتسم (بالحزم المبالغ فيه، والسيطرة الكاملة على الطفل، ورغبتهم إطاعة أوامرهم طاعة عمياء وبثورتهم وشجارهم في المنزل لأتفه الأسباب)[27].

4 ـ الناحية الاجتماعية:

يحتاج الطفل لخبرات اجتماعية عديدة حتى يعيش حياة متزنة في عالم الكبار. فالطفل في حاجة ماسة إلى إتاحة فرصة له لبناء صداقات تناسب عمره، وليرعى حقوق الناس وممتلكاتهم، وليحس أنه محبوب، وأنه في استطاعته منح الآخرين الحب، ولينعم بالمتعة في لعبه وهوه، وفي مشاركته الناس حياتهم وأعمالهم. والطفل يتوق إلى الاستمتاع بالحياة الاجتماعية المحيطة به، وإلى المساهمة فيها بنشاط إيجابي. وهو في حاجة إلى خبرة واسعة، وفهم عميق، وحب متبادل كي يتعلم كيف يعيش ويتعامل مع غيره. وحياة الطفل في الأسرة تعد النموذج الأول للحياة الاجتماعية التي سيحياها الطفل، ولها آثارها الباقية في نفسه، فالطفل الذي يتعرض في طفولته المبكرة لخبرات سارة، ويشعر بالطمأنينة، ويحظى بحب والديه، ويجد فيهما مثلاً صالحاً يقتدى به في رسم خطى الحياة يكتسب اتجاهاً نفسياً إيجابياً حيال الحياة والناس، فالطفل يتأثر تأثراً قوياً بسلوك والديه، فيشعر ويمتص ويقلد طريقتهم في التعامل مع الناس، وعلاقتهم بالجيران والأقارب والأصدقاء. كما أن اتجاهات الوالدين النفسية نحو الآخرين، ونحو الأديان والشعوب والفئات الاجتماعية تصبح كلها نفس اتجاهات الطفل النفسية[28] أما الطفل المحروم من الخبرات السارة، ومن حب وعطف ورعاية أبويه فيحس بعجز وقصور عن مسايرة الحياة ويكتسب اتجاهاً نفسياً سالباً تجاه

---

(26) د. ملاك جرجس، مشاكل الصحة النفسية للأطفال، مصدر سابق، ص 10.

(27) المصدر السابق، ص 113، 114.

(28) أليس ويتزمان، التربية الاجتماعية للأطفال، مصدر سابق، ص 71، 75.

الحياة والناس. فعلى الوالدين تقع مسؤولية توجيه وإرشاد الطفل ومساعدته على النمو الاجتماعي وذلك بدفعه إلى الاختلاط ومشاركة الآخرين ألعابهم وهواياتهم، وتشجيعه على تأدية بعض الأعمال المنزلية العادية لعائلته وفي المناسبات الخاصة كالرحلات والحفلات وأعياد الميلاد. فاشتراك الطفل في (مرح الأسرة وأعمالها دعامة أساسية في شعور الطفل بفائدته وبتبعيته للجماعة وفي توجيهه التوجيه الصحيح ليعمل مع الآخرين ولهم، وبهذا نساعده على أن يتطور تطوراً صحيحاً نحو النضج الذي يمهد له سبيل الاستمتاع بخدمة عدد كبير من الأفراد)[29].

كما يجب على الوالدين تشجيع الطفل على تكوين صداقات مع أقرانه من الأطفال، والترحيب بهم متى قدموا لزيارته في البيت، فالأخذ والعطاء ينمي شخصية الطفل الاجتماعية (ويساعد على التعبير عن مكنونات نفسه، ويبعده عن الشعور بالحرمان، والشعور بالعزلة الانفعالية التي قد تكون المصدر الرئيسي لشعوره بالذنب، وشعوره بالاضطهاد وكلاهما يوتره نفسياً وجسمياً وقد يدفعه التوتر إلى التخريب والانتقام)[30].

وخلاصة القول أن من مسؤولية الوالدين مساعدة الطفل على اكتساب عدد من صفات النضج الاجتماعي، ومن بين هذه الصفات: الثقة بالنفس، القدرة على اتخاذ القرار واللجوء إلى النصيحة عند الشعور بالحاجة إليها، القدرة على المحافظة على النفس والاعتناء بها، القدرة على وضع خطط مستقبلية واضحة ومحاولة تحقيقها بصورة واقعية، الميل إلى الحياة الخارجية والاهتمام بالأفراد الآخرين، الرغبة في المشاركة في النشاطات الاجتماعية، تحمل المسؤولية والقيام بأعبائها، مساعدة الآخرين، الاعتدال في قضاء الوقت بين اللعب والجد، القدرة على العيش بسلام وهدوء مع الآخرين وبناء صداقات معهم، تقبل نقد الآخرين، والقدرة على توجيه النقد البناء، التمتع بروح مرحة، الإيمان بالتعاون الإيجابي أكثر من المنافسة الحادة، إدراك نواحي القوة والضعف في شخصه،

---

(29) المصدر السابق، ص 82.

(30) د. ملاك جرجس، مشاكل الصحه النفسية للأطفال، مصدر سابق، ص 132، 133.

واحترام فردية كل شخص[31].

5 ـ الناحية الدينية والخلقية:

الأسرة هي المدرسة الأولى في حياة الطفل، ومن مسؤولياتها تعليم الطفل، وبما يتفق وسنة الدين الإسلامي وما يشتمل عليه من عقائد وعبادات ومعاملات وتنشئة على حب الإسلام، والتخلق بأخلاقه، والطفل في هذه المرحلة محدود الإدراك والخبرة، ومحور تفكيره يتمركز حول المحسوسات لذا ينبغي تقديم أمثلة عن وجود الله ووحدانيته، وقوته، ورحمته، مناسبة لنفسية الطفل ومستوى نضجه العقلي ومستمدة من عالمه الحسي المحدود[32].

والطفل ميال إلى سماع القصص والحكايات، لذا وجب على الأبوين تقديم طائفة من القصص القرآني، وحياة الرسول ﷺ، ومواقف الصحابة، وأبطال المسلمين بأسلوب مبسط والتركيز على مضمونها القيمي إلى جانب المتعة النفسية.

ويجدر بالوالدين تدريب الطفل على الوضوء وتعليمه كيفية الصلاة، ومكانتها في تهذيب النفس، والتعود على النظافة ومراعاة المواعيد، وتشجيعه على حضور صلاة الجمعة. والجماعات في المسجد، وحثه على الالتزام بالنظام والهدوء والاحترام، وتدريبه أيضاً وبصورة تدريجية على الصيام. وإشراكه وتشجيعه على التبرع بالصدقات على الفقراء والمساكين، والعطف على أقرانه الايتام ومساعدة العجزة وغير ذلك.

والطفل بطبيعته ميال إلى التقليد والمحاكاة، ويتأثر إلى حد كبير بسلوك الكبار وخاصة الأبوين، لذلك وجب على الآباء والأمهات أن يكونوا في سلوكهم خير مثال يحتذى به، إذ أن أفعالهم وتصرفاتهم أشد وقعاً على الطفل من نصائحهم وإرشاداتهم فيتحلوا بأخلاق الإسلام وآدابه من ذلك:

---

(31) المصدر السابق، ص. ص 27 -29.

(32) د. عمر يوسف حمزة، (ضعف دور الأسرة المسلمة في تربية الناشئة)، في مشاكل الشباب المسلم في العصر الحديث: بحوث ومناقشات، (طرابلس: كلية الدعوة الإسلامية، 1988 م) ص 257.

الصدق والأمانة، والوفاء بالوعد، والعدل، والمساواة، والرفق والعطف، والكرم، والتقوى والصبر، والحلم، وبر الوالدين، واحترام الجار، وتوقير الكبير، والحياء والبشاشة، وطيب الكلام والتواضع، وغير ذلك. وفي ذات الوقت على الآباء تجنب ما نهى عنه الإسلام من رذائل كالغيبة، والنميمة، والكذب، والنفاق، وقول الزور، والسب، والشماتة، والغش، والتباغض، والتقاطع، والحسد، والتجسس، والسرقة، وسوء الظن، والغش، والغدر، والمن بالعطية، وعقوق الوالدين، وغير ذلك، فالطفل كما هو في حاجة إلى غذاء لنمو جسمه، وغذاء عاطفي لنموه النفسي يتمثل في الحب والحنان والعطف والتقدير وغير ذلك، يحتاج إلى غذاء روحي وإلا نشأ نشأة غير متوازنة ودون نمو وازع ديني يبعده عن الشرور والمفاسد والانحراف، ويكبح جماح شهواته ونزواته، أما إهمال الطفل وتركه دون تنشئة دينية والركون إلى وجود وازع خارجي يتمثل في القوانين والتشريعات الأرضية، وإفراد ضبط وقضاء بشري فإنه سيجد نفسه في فراغ روحي، وعرضة للفسوق والانحلال، والضلالة والالحاد. وضعف الشحنة الإيمانية أو انتفاؤها تجعل الفرد يتحايل على القوانين والتشريعات الوضعية خصوصاً عند عدم اقتناعه بها وتهاون القائمين على تنفيذها.

وختاماً لهذا الجزء من البحث نقول ان الاهتمام بالطفولة ينبغي أن يتم بمعزل عن الاهتمام بفئات المجتمع الأخرى، وألا يقتصر على ناحية دون أخرى، أو فترة عمرية معينة من الطفولة، بل ينبغي أن يكون الاهتمام شاملاً بالطفل ومن حوله، ومتضمناً جميع جوانب نموه الجسمي والنفسي والعقلي والاجتماعي والروحي، ومستمراً طوال فترات الطفولة المختلفة وشاملاً كذلك لجميع الأوساط التي لها علاقة بتربية الطفل من أسرة طبيعية أو بديلة، ونواد، ومدارس ومساجد، ووسائل إعلام مقروءة ومسموعة ومرئية، ومعسكرات، ومنتزهات ومصائف، ومكتبات وغير ذلك فشمولية الاهتمام بالطفل، وتكامله واستمراريته تعد من المبادىء التربوية الأساسية التي ينبغي أن تتضمنها فلسفة إعداد الطفل للحياة.

تربية الأسرة الليبية للطفل:

بعد أن استعرضنا عدداً من جوانب شخصية الطفل التي تؤثر الأسرة في نموها، وتترك بصماتها عليها، والتي تزداد فيما بعد عمقاً واتساعاً بواسطة وسائل أخرى أهمها: المدرسة، الأقران في الحي والمدرسة، وسائل الإعلام المسموعة والمقروءة والمرئية، المسجد، النادي، المكتبة، المصائف والمعسكرات، وغير ذلك، ننتقل إلى معالجة نقطة أخرى وهي تربية الأسرة الليبية للطفل. وليس الهدف هنا وصف أو تحليل أو تقويم أساليب الأسرة الليبية في إشباع حاجات أطفالها، وتلبية متطلبات جوانب نموهم المختلفة، بل سيقتصر التعرض هنا لمناقشة المصادر التي تستقي منها الأسرة الليبية ثقافتها الخاصة بتربية الطفل. والمعالجة، أو بالأحرى محاولة المعالجة، ستتم على ضوء ما توفر للباحث من معلومات وبيانات ونتائج دراسات ميدانية ومكتبية عن المجتمع العربي الليبي، إلى جانب ملاحظاته الشخصية.

يبدو من الأنسب أن نستعرض بعض البيانات الهامة عن الأسرة في ليبيا أولاً بغية الاستعانة بها في تكوين صورة عن الأسرة الليبية.

تشير النتائج الأولية للتعداد العام للسكان بالجماهيرية عام 1984 م أن عدد السكان الليبيين بلغ 3.237.160 نسمة. وتشكل الطفولة نسبة عالية في البناء العام لسكان الجماهيرية، إذ بلغت نسبة الأطفال الليبيين الذين تقل أعمارهم عن 15 سنة 50.2٪ أي ما يزيد عن نصف عدد السكان الليبيين. وقد انخفضت هذه النسبة بعض الشيء على ما كانت عليه عام 1973 م حيث كانت 51.4٪[33] ويعد معدل الزيادة في السكان الليبيين خلال الفترة ما بين 1973-1984 م من أعلى المعدلات في العالم، ويعزى هذا الارتفاع إلى عوامل التحسن الملحوظ في المستوى المعيشي والتحسن الهائل في الظروف السكنية بالبلاد، والتحسن المستمر في المستوى الصحي العام، والانخفاض الحاد في معدل الوفيات بوجه عام والأطفال

---

(33) أمانة التخطيط، مصلحة الإحصاء والتعداد، النتائج الأولية للتعداد العام للسكان 1984 م ص ح، د (غير منشور).

الرضع بوجه خاص، ووجود معدل خصوبة مرتفع، وعودة بعض الليبيين من الخارج[34].

وتتميز الأسرة في المجتمع الليبي بكبر الحجم، فقد أظهر تعداد السكان العام 1973 أن المتوسط الحسابي لحجم الأسرة الليبية بلغ 5.8 فرداً، وتشير النتائج الأولية لتعداد سنة 1973 م أن متوسط عدد الأفراد في الأسرة الواحدة كان 6.4 فرداً[35] ويبدو أن هذا النمو في حجم الأسرة راجع إلى اتجاهات الأسرة الليبية نحو تعليم البنت، والتأخير في سن الزواج على ما كان عليه في السابق، وقلة الأخذ بوسائل تنظيم النسل، والتمسُّك الشديد بأواصر القربى وصلة الرحم الذي يقلل بعض الشيء من تكوين أسر مستقلة (نووية) عن الأسرة الأصلية.

فالفرد الليبي برغم انتمائه لأسرة صغيرة تتكون منه وزوجته وأولاده غير المتزوجين، إلا أنه ينتمي في ذات الوقت إلى عائلة كبيرة ممتدة اجتماعياً ونفسياً واقتصادياً تضم الأخوة والأخوات وأبناء العمومة وغيرهم وتأخذ في الامتداد حتى تصل إلى تكوين القبيلة[36].

ويتميز الليبيون بولائهم الشديد لعائلاتهم، فلقد أوضحت إحدى الدراسات الاجتماعية (أن الغالبية العظمى من الليبيين لا يزال ولاؤها القوي موجهاً نحو الأسرة ثم البلاد فالأمة العربية فالأصحاب). في حين كانت درجات ولائها لجماعة العمل ولأهل الحي ولأهل القرية أو المدينة ضعيفة نسبياً[37].

ويعد زواج الأقارب أحد العوامل والأسباب التي وراء استمرارية امتداد الأسرة الليبية وقوة ولاء أفرادها لها. إذ يعد الزواج من الأقارب أحد (التقاليد والأعراف الاجتماعية الراسخة في العقلية الليبية القديمة والتي لا تزال تسيطر على

---

(34) المصدر السابق، ص ح، د.

(35) المصدر السابق، ص هـ.

(36) د. علي الحوات، دراسة عن الشباب الليبي وبعض مشكلاته الاجتماعية (طرابلس: جامعة الفاتح، كلية التربية، 1980 م) ص 82.

(37) د. مصطفى عمر التير، التنمية والتحديث: نتائج دراسة ميدانية في المجتمع الليبي (بنغازي: معهد الانماء العربي، 1980 م) ص 156.

جانب كبير من الآباء والأمهات خاصة غير المتعلمين والمقيمين في الأوساط الريفية التقليدية والبدوية الصحراوية)[38].

وفيما يتعلق بمستوى تعليم السكان، تشير البيانات الإحصائية التقديرية لعام 1984 أن نسبة الأمية بين فئات الذكور والإناث آخذة في التناقص، إذ بلغت 23٪ بالنسبة للذكور و57٪ للإناث مقابل 32٪ للذكور، و72.9٪ للإناث عام 1973 م.

ورغم النمو المتزايد في عدد الإناث المسجلات في مراحل التعليم المختلفة وعدد الخريجات من المعاهد والكليات العلمية المختلفة وكذلك النمو في عدد العاملات من النساء إلا أن نسبة الإناث في القوى العاملة الوطنية ما زالت محدودة حيث وصلت النسبة 11.7٪ سنة 1984 م مقابل 5.6٪ في عام 1973 م[39].

ويلاحظ أن العديد من الليبيات العاملات ينقطعن عن العمل أو يتوقفن كلياً عن مواصلة أعمالهن في سن وظيفية مبكرة بمجرد الزواج أو قدوم المولود الأول. وهذا ربما راجع إلى اتجاهات الليبيين نحو عمل المرأة المتزوجة، ومواجهة المرأة المتزوجة صعوبة في التوفيق بين أعباء العمل والتزامات الأسرة، وقلة توفر الخدمات المساعدة للأم العاملة مثل دور حضانة، ورياض أطفال، مشرفات على الأطفال غير متفرغات. فبالنسبة لنقص رياض الأطفال، على سبيل المثال، في مدينة طرابلس بلغ إجمالي عدد الأطفال من فئة 4-5 سنوات عام 1989 م 171.310 طفلاً. في حين كان عدد أطفال الرياض بها 4000 طفل[40]. والنقص الشديد في الخدمات المساعدة للأمهات العاملات جعل العديد من الأمهات العاملات يستعن بقريباتهن في الإشراف على الأطفال طيلة أوقات العمل. والخلاصة أن

---

(38) د. علي الحوات، سياسة رعاية الطفولة في الجماهيرية الليبية، ورقة مقدمة إلى الندوة العلمية حول رعاية الطفولة في الجماهيرية: حاضراً ومستقبلاً (1-3/8/1989 م) ص 30.

(39) أمانة الضمان، مصلحة الإحصاء والتعداد، النتائج الأولية للتعداد العام للسكان 1984 م، مصدر سابق ص هـ، و.

(40) محمد علي قويدر، رعاية الطفولة بين النظرية والتطبيق، ورقة مقدمة إلى الندوة العلمية حول رعاية الطفولة في الجماهيرية: حاضراً ومستقبلاً (1-3/8/1989 م) ص 10.

الوظيفة الرئيسية للمرأة في المجتمع الليبي، ريفه وحضره، كانت ولا زالت العناية ببيتها وأطفالها. ولا زال كبار السن في الريف والحضر يساهمون في رعاية أطفال أقربائهم، وإنْ يتوفر قليل من الوقت لبعض ربات البيوت فيوظفنه في النشاط الزراعي أو الحرفي أو الوظيفي. فالغالبية العظمى من الأطفال في ليبيا يخصون برعاية أمهاتهم طيلة اليوم، وتتوفر لهم فرص الاحتكاك بالراشدين من الأقارب والأصدقاء ومن في سنهم، إذ أن أهم مجالات قضاء وقت الفراغ أو فترات الراحة لدى الليبيين هي البقاء في البيت وبين أفراد الأسرة والزيارات العائلية[41]. وهذه في الواقع مزايا يفتقر إليها العديد من الأطفال في العالم الصناعي، حيث يقضون جل وقتهم بعيداً عن الوالدين، وينـدر اتصالهم بالأقارب.

تصنيف الأسرة الليبية:

رغم أن الشائع في تصنيف الأسرة والمجتمعات اعتماد متغيرات عديدة منها: مكان الإقامة (أسرة ريفية: أسرة حضرية) ومستوى الدخل (أسرة فقيرة، أسرة متوسطة الدخل، أسرة غنية) ودرجة التحدث (أسرة عصرية أو حديثة، أسرة تقليدية، أسرة انتقالية) إلا أنه ولغرض البحث سيتم اعتماد المستوى التعليمي العام للأسرة وبالتحديد للزوج والزوجة، وذلك لصلاحيته في مناقشة مصادر الأسرة الليبية في اكتساب ثقافتها الخاصة بتربية الطفل. وعليه يمكن تصنيف الأسرة الليبية إلى: ـ

1 ـ أسرة متعلمة وهي الأسرة التي يكون فيها مؤهل الزوج والزوجة التعليمي الثانوية فما فوق.

2 ـ أسرة شبه متعلمة وهي الأسرة التي يكون فيها مؤهل أحد الزوجين الثانوية فما فوق بينما يكون مؤهل الثاني الإعدادية فما دون.

---

(41) د. مصطفى عمر البشر، التنمية والتحديث: نتائج دراسة ميدانية في المجتمع الليبي مصدر سابق، ص 169، 190.

3 ـ أسرة شبه أمية وهي الأسرة التي يكون فيها مؤهل أحد الزوجين الإعدادية فما دون ويكون الثاني أمياً.

4 ـ أسرة أمية وهي الأسرة التي يكون فيها الزوج والزوجة أميين.

ورغم أنه لا تتوفر لدى الباحث إحصائيات وفقاً لهذا التصنيف إلا أنه يمكن القول في ضوء ما تمت ملاحظته من وجود فارق كبير بين المستوى التعليمي بين الزوجين في المجتمع الليبي ومن الارتفاع في الأمية بين السكان الليبيين وخصوصاً في العقدين الماضيين يمكن القول ان الأسر الليبية حالياً تتمركز في الفئة رقم 2، 3 وأنها تتحرك نحو الفئة رقم 1، 2.

منابع ثقافة الأسرة الليبية:

أما فيما يتعلق بأهم المصادر التي تكتسب منها الأسرة الليبية ثقافتها الخاصة بتربية الطفل فيمكن تحديدها في الآتي: ـ

1 ـ أساليب الآباء والأمهات وكبار السن من الأقارب في تربية الفرد وإخوته عند الصغر.

2 ـ المناهج الدراسية في مراحل التعليم المختلفة.

3 ـ وسائل الإعلام المقروءة، والمسموعة، والمرئية المحلي منها والخارجي.

4 ـ التوعية والإرشاد في المؤسسات الاجتماعية مثل المدارس، المساجد، مراكز تعليم الراشدات، النوادي، مراكز الأمومة والطفولة وغيرها، فبالنسبة للأزواج والزوجات الذين حصلوا على فرصة لتلقي تعليم نظامي في المدارس فمن خلال المناهج الدراسية تتكون لديهم حصيلة معرفية ولكنها تتمركز حول الناحية الصحية المتعلقة بالجسم وذلك من خلال دروس العلوم والصحة في مراحل التعليم المختلفة، وكذلك حول الجانب الديني من خلال دروس التربية الدينية والثقافة الإسلامية وبعض دروس التاريخ والمطالعة. أما الجوانب العقلية والنفسية والتعليمية فتكاد تكون معدومة في التعليم العام، ويقتصر وجودها في

بعض المسافات الدراسية في التخصصات المهنية كالتدريس، والخدمة الاجتماعية والمعاهد الصحية. وتبقى لفئة المتعلمين فرص أخرى لتكوين ثقافة والديه تتعلق بتربية الطفل وذلك عن طريق القراءة الحرة، وحضور النشاطات الثقافية في المراكز والمؤسسات الاجتماعية وهما محـدودا التأثير للغاية لسببين الأول: إن عادة القراءة لدى الليبيين غير مترسخة، إذ تفيد دراستا د. الشافعي ود. البشر ذلك.[42] وحتى الذين تعودوا القراءة رغم محدودية عددهم، فاهتمامهم سيكون موزعاً على عدد من المجالات، السياسية، والاقتصادية، والفكرية، والاجتماعية، والأدبية، والدينية والرياضية وغير ذلك. فالملاحظ على الليبيات مثلاً الإقبال على الكتب والمجلات المهتمة بشؤون الفن والجمال والطهي أكثر من غيرها، أما السبب الثاني، فنشاطات المؤسسات الاجتماعية الأخرى والإقبال على نشاطها هو الآخر محدود للغاية، واهتماماتها أيضاً متنوعة.

أما فيما يتعلق بتأثير وسائل الإعلام المرئي والمسموع على الفئة المتعلمة فيما يخص تربية الطفل فهو الآخر فيما يبدو محـدود للغاية، إلى جانب أن البرامج المتعلقة بتربية الطفل يغلب عليها الجانب الصحي المتعلق بالبـدن كالغـذاء والأمراض وأساليب الوقاية والعلاج ولا تعير النواحي الأخرى اهتماماً يذكر. وبالتالي يمكن القول ان فئة المتعلمين يجدون أنفسهم بطريقة وأخرى يتأثرون بالمصدر الأول تأثـراً لا بأس به.

أما فئة شبه المتعلمين والأميين فمرجعهم في تربية الطفل المصدر الأول وهو خبرتهم المباشرة المتكونة من الملاحظة والتقليد والمحاكاة، وما تبثه وسائل الإعلام المسموعة والمرئية، وما تقدمه بعض مؤسسات المجتمع الأخرى من نصـائح وإرشادات وهي جميعها محدودة وكما سبق القول ينحصر اهتمامها في جوانب محددة. وبالتالي فهذه الفئة تتأثر تأثـراً قوياً بالمصدر الأول، الخط التقليدي في التربية.

---

(42) المصدر السـابق، ص 190. د. إبراهيم محمد الشافعي، اتجاهات الشباب في الجمهورية العربية الليبية: دراسة علمية لاتجاهات الشباب وميولهم نحو أهم قضايا الأسرة والمجتمع (منشورات جامعة بنغازي، كلية اللغة العربية، دون تاريخ) ص 133، 135.

الخاتمة:

وهذا التحليل يدفعنا إلى التأكيد على نقطتين هامتين أولهما: ضرورة إثراء المناهج الدراسية في مراحل التعليم بالناحية النفسية والعقلية والاجتماعية لنمو الطفل وتطبيقاتها التربوية إلى جانب الاستمرار في الاهتمام بنواحي النمو الأخرى، وثانيهما: إعداد مواد إعلامية مبرمجة تغطي جوانب رعاية الطفولة المختلفة وبمستوى يتفق مع ثقافة غالبية أفراد الشعب.

إن أهمية الطفولة، وأثر الوالدين في تشكيل شخصيتها يجعلنا أمام مسؤولية كبيرة وهي إعداد الشباب من ذكور وإناث، آباء وأمهات المستقبل، وكذلك تبصير وتوعية الآباء والأمهات وعلى جميع المستويات بدوري الأمومة والأبوة وما لهما من تأثير قوي على نمو الطفل. فلم تعد الأمومة والأبوة فناً يكتسب عن طريق المحاكاة والتقليد والملاحظة والممارسة فقط بل أصبحتا فناً يسانده العلم وتطبيقاته النامية في مجالات رعاية الطفولة.